هكذا تكون الشرطة !..

يا سيدى ! بالباب عسكرى يقول إنه يريد أن يسلمك محضراً !

بهذا النبأ المزعج دخل علىّ الخادم فى نحو الساعة الثامنة من مساء ليلة قريبة وأنا جالس إلى مكتبى أفتش فى المراجع دون أن أقع على طلبتى حتى ضاق صدرى ، فلم يسرعنى ما بى إلا هذا النبأ البهيج ! ووثبت من فورى أناقى البشرى ، فلقد والله زادنى الخادم غيظاً على غيظى بابتسامته البلهاء التى شفع بها هذا الخبر الأسود كما لو أنه جاء ليبشرنى بما تنبسط له نفسى !

ومشيت وأنا أسأل الخادم ، أو على الأصح أصيح به عنفاً

فقد خيّلت إلىّ أعصابى المكدودة أنه يشمت بى إذ يبتسم أو يظن بى خوفاً — أى محضر ؟ ولم أخرج من دارى نهارى كله ولا أذكر أنى فعلت بالأمس ولا قبل الأمس شيئاً يستوجب المحضر ، ولا أنا — ولله الحمد — ذو سيارة حتى أدوس بها أحداً أو أخالف بها نظام المرور ، ولست ممن يعودون إلى دورهم بعد منتصف الليل ... ولا ... ولا ...

ومضيت إلى الباب الخارجى فما راعنى إلا عُتلّ أبرز ما فيه شارباه وأنفه وطول قامته ، حتى لقد ذكرنى ذلك المملاق بتلك الصور الكاريكاتورية التى ترسمها بعض المجلات لبنى جنسه ، وأشهد والله بعد رؤيته ما فيها شيء مما كنت أظنه من مبالغة !

— ماذا تريد يا شاويش ؟ وليصدقنى القارئ أنى أتأدب حتى فى خطاب من يسلمنى محضراً

— معى محضر يا أفندى من فضلك وقع عليه بالاستلام !

— لمن هذا المحضر ؟

— لا أعرف

— ما موضوعه ؟

— لا أعرف

هذه والله — فى غير تحريف — إجابة الشاويش الهمام لم أصنع بها شيئاً إلا أنى عرّبتها ! وحبست ضحكى تأدباً علم الله وبنفسى أن أقهقه لولا أنى لا أحب أن أسيء حتى إلى مثل هذا العتل وقلت : إذا كنت لا تعرف صاحب المحضر ولا موضوع المحضر ... فلم اخترت هذا البيت بالذات ؟

— قالوا عند المزلقان ...

ومددت يدى أتناول الورق منه ، فدفعه إلىّ بعد تردد وحذر ؛ وألقيت نظرة فإذا هو لفلان فى بيته المرقوم بكيت ويقع كذلك عند مزلقان وهو بشأن سيارة لم يعنى أن أعرف موضوعها ؛ وتبسمت وقلت للشرطى ليس المحضر لنا ، ورحت أصف له موضع البيت المقصود ، وأذكر له اسم الشخص المطلوب ، وحسبت أنه سوف يحمد لى هذا الإرشاد ؛ ولكنى نظرت فإذا به يداعب شاربه ويرمينى بنظرة اشتركت فيها عيناه وأنفه وغلظه وجهله ، وإنه ليبتسم ابتسامة أسمج من هيكله ، وكأنما يريد أن يذكرنى أنه من رجال البوليس ، وهل يضحك أحد أو يمكر رجال البوليس ثم قال : وقع على الورق يا أفندم ... ما فيش لزوم للزوغان !

ورأيت أنى أكون أجهل منه لو ناقشته بعد ذلك ، فهممت أن أوقع لمجرد التخلص منه ، وليفهمه رؤساؤه بعد ذلك خطأه ، ولكنى عدت أؤكد له أنى لست الشخص المطلوب ، وهو ينظر إلىّ ويصب علىّ سماجته كلها ، حتى ضقت به فقلت لن أوقع ، وإذا ذاك تراجع وطلب إلىّ أن أدله على البيت المكتوب فى الورق ... فتنفست الصعداء وقلت :

— أتعرف بيت محمد باشا محمود ؟

— محمد باشا محمود ؟ ومين محمد باشا محمود ده ؟ ومين يا أفندم اللى يعرفنى بالكلام ده ؟ !

وجذبته من ذراعه وسرت معه خطوات حتى وقفت به فى الشارع المجاور ، وهو شارع الفلكى ، وقلت له : أنت الآن تتجه « بحرى » فأين يدك اليسرى ؟ ومد إلىّ يده اليسرى فى سذاجة ، فقلت : تظل ماشياً فى هذا الشارع إلى أن تجد بيتاً كبيراً يقف ببابه ، ويقع عن شمالك ، عسكرى مثلك ، فاسأله أين البيت المطلوب ... وانطلق المملاق يتمتم بكلمات ولعله كان يستنزل لعنة الله على من كلفوه ما لا يطيق ؛ وعدت إلى مكتبى وسراجى وأنا أقول لنفسى : هذا وأمثاله هم حفظة الأمن والنظام ، وهذا وأمثاله من يستلم المرء محضراً حقاً إذا انتهرهم أو ضاق بهم فدفعهم عن طريقه أو من مدخل داره ... هذا وأمثاله وليسوا بالقليلين هم شرطتنا ... ألا متى يفهم القائمون بالأمر ، حفظة الأمن الكبار ، حفظهم الله ، أن تغيير هذا الصنف كله بات من أوجب الواجبات ؟

القصيف